تمهيـــد

رسالتان .

الرسالة الأولى : لماذا لا تحج ؟

هل تعلم فضل الحج ؟

١ – محو الذنوب .

٢ – الحجاج وفد الله .

٣ – دخولك الجنة .

٤ – الحج جهاد .

٥ – الحج أفضل الأعمال .

٦ – عتق رقبة من ولد إسماعيل .

٧ – عتق سبعين رقبة من ولد آدم .

٨ – مباهاة الله بالحجيج ملائكته .

٩ – الحج يكفر الكبائر .

١٠– الحج يدفع الفقر ويذهب الفاقة .

١١– بالحج يستمر الأجر إلى يوم القيامة .

الرسالة الثانية : إلى زوار بيت الله في كل عام .

ملاحظتان .

obeikandl.com

تمهيد

رسالتان

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، وهو الشعيرة الرابعة من شعائره الكبرى ، ويأتي ترتيبه بعد الصلاة ، والزكاة ، والصيام ليكون متمماً لهذه الأركان الثلاثة .

وقبل الحديث عن الحج ومشروعيته ، وأيامه وأركانه ، وعبره وعظاته ؛ أحببت أن أوجه رسالتين إلى صنفين من الناس .

● **الرسالة الأولى : لماذا لا تحج ؟**

وهي رسالة إلى كل صحيح قادر .

إلى كل من زاده الله بسطة في المال والجسم .

إلى كل من منّ الله عليه بنعمة المال ونعمة الصحة ونعمة الأمن .

إلى كل من كثر ماله وطال عمره .

إلى هؤلاء جميعاً أقول :

أخي الحبيب : ألم تهف نفسك لرؤية بيت الله العتيق ؟

ألم تستمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾

[الحج : ٢٧]

ألا تريد أن تلبي نداء أبيك إبراهيم ؟

ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج: ٣٠] ؟

ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] ؟

ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧] ؟

ألم تسمع قوله ﷺ وهو يؤكد فريضة الحج فيقول : « إن الله فرض عليكم الحج فحجوا »(١) .

هل تعلم فضل الحج ؟

أخي الحبيب : هل تعلم فضل الحج ؟ أم أراك غافلاً عنه ؟

لئن كنت تعلم فضله ثم تغفل عنه فتلك والله عجيبة .

وإن كنت لا تعرف فضله فتلك والله غريبة .

وعلى كل فاسمع إلى هذه الأحاديث المباركة ، وتأمل ما جاء فيها على لسان الصادق المصدوق ﷺ ، وأسرع إلى الحج لتنل هذا الثواب العظيم .

أخي الحبيب : ألا تريد أن يمحو الله لك ذنبك ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تكون من وفد الله في هذا العام؟

إن قلت بلى . فلماذا لا تحج ؟

---

(١) رواه مسلم في الحج رقم (١٣٣٧) عن أبي هريرة.

obeikandl.com

أخي الحبيب : ألا تريد أن تدخل الجنة ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تجاهد في سبيل الله إن عز عليك الجهاد في ساحة الوغى ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تباشر أفضل الأعمال ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن يباهي الله بك ملائكته ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تعتق رقبة من ولد إسماعيل ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تعتق سبعين من ولد آدم ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن تكفر عن ذنوبك صغارها وكبارها؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : ألا تريد أن يدفع عنك الفقر وتذهب عنك الفاقة ؟

إن قلت : بلى . فلماذا لا تحج ؟

أخي الحبيب : إن كنت تريد أن تحصل على ما سبق فهات يمينك ، وابسط يدك ، وافتح قلبك واسمع لقول حبيبك المصطفى ﷺ .

أما محو الذنوب : فقد قال رسول الله ﷺ : « من حج فلم يرفث (١) ولم يفسق (٢) رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٣).

وعن ابن شماسة رضي الله عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، فبكى طويلا وقال : لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ابسط يمينك لأبايعك ، فبسط يده، فقبضت يدي ، فقال : ما لك يا عمرو ؟ قال: أردت أن أشترط. قال : تشترط ماذا ؟ قال : أن يغفر لي . قال : أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟(٤) .

و أما إنك من وفد الله : فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم »(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله ؛ دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم »(٦).

---

(١) الرفث : ما قبُح من الكلام ، وهو الإفْحاشُ في القول ؛ ويقال أنه : التصريح بالهُجْر من الكلام.

(٢) الفسوق : يعني إتيان معاصي الله عز وجل .

(٣) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٢١) ومسلم في الحج رقم (١٣٥٠) عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الإيمان رقم (١٢١) عن عبد الله بن عمرو.

(٥) رواه البزار عن جابر . وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار رجاله ثقات (٣ / ٢١١) ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١١٠٧) وقال : حسن لغيره .

(٦) رواه ابن ماجه في الحج (٢٨٩٣) عن ابن عمر . وذكره الألباني في صحيح الترغيب (١٢٤٦) .

وأما دخولك الجنة : فقد قال رسول الله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »(١) .

وأما أنك مجاهد : فعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني جبان ، وإني ضعيف ، فقال : هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج »(٢) .

وجاء عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام فمن حج البيت أو أمه فهو ضامن على الله ؛ فإن مات أدخله الجنة ، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة »(٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ فقال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور »(٤) .

وأما أنك تحظى بأفضل الأعمال : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور »(٥) .

---

(١) رواه البخاري في العمرة رقم(١٧٧٣) ومسلم في الحج رقم (١٣٤٩) عن أبي هريرة .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ١٣٥) . وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات (٣/ ٢٠٦) وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (١٠٩٨) .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٩ / ٢٨) عن جابر وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٧٠٤) .

(٤) رواه البخاري في الحج رقم (١٥٢٠) عن عائشة .

(٥) رواه البخاري في الحج رقم(١٥١٩) ومسلم في الحج رقم(٨٣) عن أبي هريرة .

وأما عتقك رقبة من ولد إسماعيل وسبعين من ولد آدم ومباهاة **الله بك ملائكته وتكفير كبائرك** : فقد روى ابن عمر رضي الله عنه قال : كنت جالسا مع النبي ﷺ في مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ، ثم قالا : يا رسول الله جئنا نسألك. فقال: « إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت ، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت » . فقالا : أخبرنا يا رسول الله ﷺ . فقال الثقفي للأنصاري : سل . فقال : أخبرني يا رسول الله . فقال : « جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه مع الإفاضة » . فقال : والذي بعثك بالحق لَعَنْ هذا جئت أسألك . قال : « فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا و المروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة ، يقول : عبادي جاؤوني شعثا من كل فج عميق، يرجون جنتي ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك

تطوف ولا ذنب لك ؛ يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى »(١) .

وأما دفع الفقر وذهاب الفاقة : فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ؛ كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة »(٢) .

وأما استمرار الأجر إلى يوم القيامة : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من خرج حاجاً فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ، ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة »(٣) .

أخي الحبيب : لماذا لا تؤدي شكر نعم الله عليك ؟

ألم يعطك ربك ويجزل لك العطاء ؟

أليس عندك من ماله ما أكثره ؟

ومن نعمه ما لا يحصى ولا يعد ؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والبزار . وقال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له وقال : وقد روي هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق (٢ / ١١٠) ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١١٢) وقال : حسن لغيره.

(٢) رواه الترمذي في الحج (٨١٠) وقال : حسن صحيح غريب ، وابن خزيمة (٢٥١٢) وابن حبان (٣٦٩٣) ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١٣٣) وقال حسن صحيح .

(٣) رواه أبو يعلى (١١ / ٢٣٨) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٥٥٣) .

لقد أعطاك ربك من غير سؤال ، وطلب منك الشكر ليعطيك المزيد ، وقال سبحانه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧] والله إنك لمسؤول عن هذا المال بين يدي الله فيما أنفقته وقد قال ﷺ : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، و ماذا عمل فيما علم » (١) . ألا تحب أن تقول لله : أنفقت كذا وكذا في حج بيتك الحرام ؟

أخي الحبيب : ألست الآن في صحة وعافية ؟

ألست في قدرة واستطاعة ؟

فلماذا تؤخر ؟ ولماذا التسويف ؟

ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ وهو يقول : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »(٢) .

ماذا تنتظر ؟

إن الصحة التي أسبغها الله عليك يوشك أن تزول ، والعافية التي أنت مسربل فيها يوشك أن تكون ضعفاً وشيبة ؛ فماذا تنتظر ؟ وقد قال ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً منسيًا ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٦) عن ابن مسعود . وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٩٩) .

(٢) رواه الحاكم (٤ / ٣٤١) عن ابن عباس وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٤٣٤١) . وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٣٥٥) .

مجهزاً ، أو الدجال ؛ فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ؛ فالساعة أدهى وأمر »(١).

وقال ﷺ محذراً من طول الأمل ؛ كما في حديث ابن مسعود: خط رسول الله ﷺ خطا مربعاً وخط في الوسط خطاً خارجاً منه وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال : هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا انتهشه هذا ، وإن أخطأه هذا انتهشه هذا »(٢).

ويترتب على طول الأمل الكسل عن الطاعة ، والتسويف بالتوبة ، والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة والقسوة في القلب .

ولله در أبا تراب رضي الله عنه حين قال : إن أخوف ما أخاف عليكم ، اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة ، ألا وإن الدنيا ارتحلت مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل.

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٠٦) عن أبي هريرة . وذكره الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٠٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧) عن ابن مسعود ، ورسم ابن حجر عدة صور وقال : أصحها الذي رسمناه انظر فتح الباري ج ١١ / ١٤٤ .

أخي الحبيب :

ثم إنك هل تضمن أجلك ؟

هل أنت مالك عمرك ؟

أليست الآجال سريعة المضي ، سريعة الانفلات ؟

كم من أناس عرفناهم كانوا معنا ثم انقلبوا ، وقد كان منهم من هو أصغر منا أجلاً ، وأوفر منا صحة ، وأكثر منا عافية ، وأوسع سلطاناً، وأكثر حاشية ، ثم ماذا ؟ ألم يموتوا ؟ ولله در أبي العتاهية حين قال :

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور
يجري عليك بما أردت ... مع الغدو مع البكور
فإذا النفوس تغرغرت ... بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ... ما كنت إلا في غرور

أخي الحبيب : ألا تحج الآن وأنت مالك مالك ، وأنت قادر على الإنفاق ، قبل أن يأتي يوم فتقول : ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ**﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيرد عليك ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠]

ولله در القائل :

كل باك فسيبكى ... وكل ناع فسينعى
وكل مدحور سيفنى ... وكل مذكور سينسى
ليس غير الله يبقى ... من علا فالله أعلى

أخي الحبيب : اعلم أنك تهدم في عمرك منذ أن نزلت من بطن أمك ، واعلم أن كل يوم يقربك إلى مولاك ، فلماذا لا تحج ؟ لماذا؟

وإليك **أخي الحبيب** أسوق هذه القصة علها تجد في قلبك مكاناً ، فيرق لها :

لقي الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل : كم عمرك ؟

قال الرجل : ستون سنة .

قال الفضيل : إذن أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله ، يوشك أن تصل .

قال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقال الفضيل : يا أخي هل عرفت معناها ؟

قال الرجل : نعم عرفت أني لله عبد وأني إليه راجع .

فقال الفضيل : يا أخي من عرف أنه لله عبد ,وأنه إليه راجع , عرف أنه موقوف بين يديه ، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول ، ومن عرف أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً .

ورحم الله سعدون المجنون حين قال واعظاً الرشيد :

هب الدنيا تواتيك ... أليس الموت يأتيك
فما تصنع بالدنيا ... وظل الميل يكفيك
ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لثانيك
كما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يبكيك

وأخيراً أخي الحبيب :

ألا تخاف على دينك ؟ ألا تخشى على إسلامك ؟

ألا تحذر أن يأتيك أجلك وأنت لم تحج ؟

ألا تخاف أن تأتي ساعتك وأنت لم تزر بيت الله ؟

ألا تخاف أن تموت فتسأل عن هذه الفريضة ، ويقول لك ربك : ألم أبسط لك في الرزق ؟ ألم أنعم عليك بالصحة ؟ ألم أعطك من المال ما خلفته لغيرك فنالوا النعيم ونلت الحساب ؟

ولقد أراد النبي ﷺ من كل ذي مال وعافية أن يعجل بالحج فإنه لا يدري ما يأتي به الغيب فقد ينقلب الأمن خوفاً ، والصحة مرضاً ، والعافية بلاءً ، والغنى فقراً ، والمال عوزاً وحاجة ؛ وفي الحديث قال ﷺ : « من أراد أن يحج فليعجل ، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة »(١) .

وقال ﷺ : « تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له »(٢) .

وروى سعيد بن منصور في سننه أن عمر رضي الله عنه قال : لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة، ولم يحج ؛ فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين » .

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٣) عن ابن عباس أو الفضل، وقال محققوه: حديث حسن والبيهقي (٤ / ٣٤٠) . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٠٤) .

(٢) رواه أحمد (٢٨٦٧) وقال محققوه: حديث حسن والبيهقي عن ابن عباس . وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (١١١١) .

وروى ابن أبي شيبة عن علي مرفوعاً قال : « من ملك زاداً وراحلة ولم يحج ؛ فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » .

الرسالة الثانية : إلى زوار بيت الله في كل عام :

وهذا نوع آخر من الناس ؛ على النقيض من النوع السابق ,ولئن كان هناك من عمر ستين سنة وجاوز السبعين والتسعين ولم يحج ؛ فإن نوعاً لا ينقطع عن زيارة بيت الله الحرام كل عام ، ولا ينفك من أن يكون حاجاً أو معتمراً ، فلا تخطئه في ليلة السابع والعشرين من رمضان ، ولا يوم عرفات أبداً ، إنهم يعتمرون للمرة العشرين ، ويحجون للمرة العاشرة أو الحادية عشرة ؛ بل قد تكون العشرين .

وهذا الصنف من الناس ترك الأفضل ومال إلى المفضول، وخالف الأحسن وأخذ بما دونه ، وكان الأولى بهم أن يقدموا الأهم على المهم ، والراجح على المرجوح ، والأحسن على الحسن، ومتعدي النفع على قاصر النفع ، ومصلحة الجماعة على مصلحة الشخص ، وحاجة الأمة على حاجة الفرد .

يقول الإمام العز بن عبد السلام : واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح ، ودرء الأفسد فالأفسد ؛ مركوز في طبائع العباد نظراً من رب الأرباب ، فلو خيرت الصبي الصغير بين اللذيذ والألذ ؛ لاختار الألذ ، ولو خيرته بين الحسن والأحسن ؛ لاختار الأحسن ،، ولو خير بين فلس ودرهم لاختار الدرهم ، ولو خير بين درهم ودينار لاختار الدينار ، ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح ، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت(١) .

---

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام . الإمام العز بن عبد السلام / ط مؤسسة الريان / ط الثانية ١٩٩٨ م / ج١ / ص ٥ ـ ١١ بتصرف .

وقد كان خطأ هذا الصنف من جهتين :

الجهة الأولى : أنهم يزاحمون إخوانهم في مناسك الحج ؛ لقد رأينا الزحام يزداد موسماً بعد موسم وعاماً بعد عام ، وربما وقع ما لا تحمد عقباه من موت ونحوه ، وذلك من آثار الزحام ، ولو ترك هذا النوع حج بيت الله من أجل التوسعة لإخوانه والتخفيف عنهم لكان أولى، وفي الحديث قال ﷺ : « إنما يرحم الله من عباده الرحماء »(١)، وقال : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس »(٢) ، وقال « الراحمون يرحمهم الرحمن »(٣).

الجهة الثانية : أن هذا النوع من الناس قد شغل نفسه بحال غيره، وأدخل نفسه في حال سواه ، وقد قال بشر لهذا النوع من الناس لما سئل عن غني كثير الصوم والصلاة فقال : المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا هو : إطعام الطعام للجياع ، والإنفاق على المسكين ، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ، ومن صلاته لنفسه ، من جمعه للدنيا ومنعه للفقراء (٤).

وقد كان محقاً فقيه الصحابة في الكوفة عبد الله بن مسعود يوم أن قال مخبراً عن هذا الصنف : في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب ، يهون عليهم السفر ، ويبسط لهم في الرزق ، ويرجعون

---

(١) رواه البخاري في الجنائز رقم (١٢٨٤) عن أسامة بن زيد .
(٢) رواه البخاري في التوحيد رقم (٧٣٧٦) عن جرير بن عبد الله.
(٣) رواه أبو داود في الأدب(٤٩٤١) والترمذي في البر والصلة (١٩٢٥) وقال: حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٥٦٩) وفي صحيح أبي داود رقم(٤١٣٢) .
(٤) انظر : إحياء علوم الدين / الغزالي / ج٣ / ص ٤٠٨ .

محرومين مسلوبين ، ينهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور على جنبه لا يواسيه .

وقد واجه الإمام الغزالي هذا الصنف من الناس ، ووجه إليهم اللوم والعتاب فقال منتقداً فعلهم ، موضحاً خطئهم : وفرقة أخرى من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ، ويمسكونها بحكم البخل ، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة ، كصيام النهار ، وقيام الليل ، وختم القرآن ، وهم مغرورون ؛ لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم ، فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال ، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ! ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية ، وقد أشرف على الهلاك ، وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ، ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين(١)، (٢) .

و يذكر لنا الإمام الزاهد الورع عبد الله بن المبارك : أنه خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم ، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ، ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار ، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة . فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان

---

(١) نوع من الدواء يوصف لمن لدغته حية .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين / ج٣ / ص ٤٠٩ ، وانظر : في فقه الأولويات / د يوسف القرضاوي / مكتبة وهبة / ط الرابعة ٢٠٠٠ م / ص ٢٨ وما بعدها .

أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار . فقال : عد منها عشرين دينارا تكفينا إلى مرو ، وأعطها الباقي ، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع[1] .

وقد أورد الإمام الغزالي قصة دارت أحداثها بين بشر بن الحارث وواحد من هذا الصنف في زمانه ؛ فأوضح بشر للرجل حقيقة الأمر ، فاسمع إلى هذا الحوار :

جاء رجل يودع بشر بن الحارث وقال : قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء ؟

فقال له : كم أعددت للنفقة ؟

فقال : ألفي درهم .

قال بشر : فأي شيء تبتغي بحجك ؟ تزهداً أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله ؟ قال : ابتغاء مرضاة الله .

قال : فإن أصبت مرضاة الله تعالى ، وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم ، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى : أتفعل ذلك ؟

قال : نعم .

قال : اذهب فأعطها عشرة أنفس : مديون يقضي دينه ، وفقير يرم شعثه ، ومعيل يغني عياله ، ومربي يتيم يفرحه ، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل ، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم ، وإغاثة اللهفان ، وكشف الضر ، وإعانة الضعيف : أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ! قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلا فقل لنا ما في قلبك .

---

(١) انظر البداية والنهاية / ابن كثير / ط مكتبة المعارف بيروت / ج١٠ / ص ١٧٨ .

قال : يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي .

فتبسم بشر رحمه الله ، وأقبل عليه ، وقال له : المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات ؛ اقتضت النفس أن تقضي به وطراً ؛ فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين !(١) .

والناظر إلى حال أمتنا الآن يرى أنها في أمس الحاجة إلى هذه الأموال التي تنفق في الحج ؛ ليسد بها جوع جائع ، أو يستر بها جسد عارٍ ، أو يداوى بها جسم مريض ، أو يرفع بها بنيان مسجد ، أو ينسخ بها كلمات مصحف ، أو يكفل بها طفلاً يتيماً ، أو يعف بها شاباً ناكحاً ، أو يستر بها عرض مسلمة ، أو يمسح بها دمعة محزون ، أو يسد بها دين مدين ، أو يضمد بها جرح منكوب ، أو ينفس بها كربة مكروب ، أو يرفع بها جهل جاهل ، أو يهدي بها سبيل حائر .

أو ليست هذه الآلاف العشرة من الجنيهات أو الريالات أو الدنانير – ما يقل عنها أو ما يزيد – ألا تفعل هذه الآلاف المؤلفة والملايين « المملينة » إذا ضمت إلى بعضها ألا تفعل الأفاعيل ؟

وانظر إلى حال أمتنا يمنة ويسرة لترى أيد ممدودة ، وأفواهاً مفتوحة ، وبطوناً جائعة ، وأجساداً عارية ، وأبداناً هزيلة ، وعقولاً حائرة ، وأفئدة مضللة ، وعبادات مبتدعة ، وعقائد فاسدة ؛ أو ليس من باب أولى أن تنفق هذه الأموال في هذه الأبواب .

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين / ج٣ / ص ٤٠٩ . وانظر : في فقه الأولويات / د. يوسف القرضاوي / مكتبة وهبة / ط الرابعة ٢٠٠٠ م / ص٢٨ - ٣١ .

أو ليس إخواننا في فلسطين الذين يقفون درعاً واقياً لأمة الإسلام من الصهيونية الماكرة ؛ أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

أوليس إخواننا في الشيشان ممن يحاربون بقايا الدب الأحمر ، ويزودون عن عقيدتهم مخالب هذا الدب المفترس ؛ أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

أوليس إخواننا في بلاد البلقان ممن يتصدون لحملات الصرب الصليبية الخبيثة ليحافظوا على ما تبقى من إسلامهم ؛ أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

أوليس إخواننا في الهند وفي كشمير ممن يقاومون البوذية الكافرة ، والهندوسية المشركة ، أليسوا هم أولى بهذا المال ؟

وحتى لا يظن البعض أن هذا مجرد كلام مبتدع ، أو آراء تحتاج إلى دليل فنسوق إلى كل ذي عينين كلام أهل العلم على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم :

١ ـ فتوى اللجنة الدائمة :

سئلت اللجنة الدائمة عن رجل وفق للحج والعمرة ، وأحس بالحنين والطواف حول الكعبة ويريد الحج والعمرة ثانية ، فأيهما أفضل الذهاب للحج والعمرة أم التبرع بالمال لمشروع خيري للمجاهدين ؟

فأجابت اللجنة بالآتي : كل من السفر للعمرة والإنفاق في سبيل الله عمل طيب مشكور ، لكن العمرة عمل قاصر على المؤدي لها ، وأما الإنفاق في الجهاد فنفعه متعدٍ ، فيكون البذل فيه أولى وأفضل[١] .

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة / ج ١١ / ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

٢ ـ فتوى الشيخ القرضاوي :

يقول الشيخ : فليت الذين يتطوعون بالحج – وهم الأكثرية ! – ومثلهم الذين يتطوعون بالعمرة طوال العام، وخصوصاً في شهر رمضان، يتنازلون عن حجهم وعمرتهم، ويبذلون نفقاتهما في سبيل الله، أي في إنقاذ إخوانهم المسلمين والمسلمات، الذين يتعرضون للهلاك المادي والمعنوي، وللعدوان الغاشم، الذي يستبيح كل حرماتهم، ولا يريد أن يبقي لهم من باقية، والعالم المتقدم ! يرى ويسمع، ولا يحرك ساكناً، لأن الغلبة لحق القوة، وليس لقوة الحق !![١].

ملاحظتان :

بيد أن هناك ملاحظتين ينبغي عدم الإغفال عنهما :

الملاحظة الأولى : أن أصحاب الأموال ممن فاض عليهم الله برزقه وتتوق أنفسهم إلى زيارة بيت الله الحرام ، ويحدو بهم الشوق إلى البلد الأمين ، فعليهم أن يزوروا بيت الله الحرام حاجين كل خمسة أعوام من باب شكر الله على نعمه ، وخروجاً من الوعيد الذي جاء في قوله ﷺ : فيما يرويه عن ربه رب العزة أنه يقول : « إن عبداً صححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة يمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم [٢].

الملاحظة الثانية: أن من أصحاب الأموال من يضن بالنفقة إلا على زيارة بيت الله ، فإن بخلت نفسه عن إخراج المال إلا في الحج، ولم يستطع أن يخرج قيمة النفقة في سبيل الله فليذهب حاجاً عسى الله أن يرقق قلبه يوماً ما .

---

(١) انظر : فقه الأولويات / د : يوسف القرضاوي / ص ١٧ .

(٢) رواه ابن حبان (٩ / ١٦) . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٦٢) .